تجليات البعد الجبري في اللغة في كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" لدي سوسير

حفصة فقاص

جامعة الجزائر2 - الجزائر

feghafou@gmail. com

تاريخ الاستلام: 2018/11/15 تاريخ القبول: 2019/04/16

الملخّـص

تعـبَر النظريـة الجبريـة لـدو سوسـير، التـي تتجـلى في كتابـه **"كتابـات في اللسـانيات العامـة"**، عـن توقـه لجعـل اللسـانيات علـماً صوريـاً يتحـرى الدقـة العلميـة الكفيلـة بتحقيـق أهدافـه، فـلا يمكن اعتبـار انتظـام الوحـدات اللغوية اعتباطيـاً خاليـاً مـن منطـق معـين، ويعـد التجريـد الجـبري أنجـع الطـرق لفهـم هـذا المنطـق. كـما أنَ صياغـة اللغـة في بعـض جوانبهـا في قوالـب رياضيـة دليـل عـلى طبيعتهـا الجبريـة التـي تسـهل عـلى الباحـث التوصـل إلى الأسـس الكليـة التـي تجمـع الألسـن عـلى اختلافهـا وهـو هـدف اللسـانيات الأسـمى.

الكلمات المفاتيح:

منطق- جبرية اللغة - لسانيات - دو سوسير.

مؤلف المراسل: حفصة فقاص، البريد الالكتروني: fegahafou@gmail.com

La dimension algébrique du langage selon De Saussure dans son livre "Ecrits de linguistique générale"

Résumé

Le principe de algébricité dans la théorie Saussurienne démontre que le langage humain a une logique spéciale ce qui l'a amené à une réflexion purement algébrique, basée sur le principe de la dualité qui est l'essence même du langage chez lui, permettant au chercheur de démontrer l'existence des universaux qui sont l'objet même de la linguistique.

Mots clés:
Algébricité - linguistique - langage humain - De Saussure.

The Algebraic Dimension Of The Language In De Saussure's Book "Writings In General Linguitics"

Abstract

The Saussurean Algebraic theory, that was illustrated in "Writings in General Linguistics", expresses De Saussure's desire to make the linguistics a formal science that relies on scientific strictness. Thus, we can not consider the regularity of linguistic units arbitrary de voided of a certain logic, In that perspective, the algebrical abstraction is the best way to understand this logic, that's on one hand. On the other hand, some aspects of the language attest of its algebrical nature which makes it easier for the researcher to reach the global bases that gather the languages despite of their differences, and that's the ultimate goal of the Linguistics.

Key words:
Algebraic - linguistics - human language - De Saussure.

مقدمة

يرمي مقالنا إلى إلقاء الضوء على بعض المفاهيم الجبرية في اللسانيات السوسورية من خلال كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" الصادر سنة 2002 والذي يقدم دو سوسور من خلال مخطوطه الذي "يعد كاتباً مكتملاً عن اللسانيات العامة اتضحت فيه فكرة جبرية اللغة عند دو سوسير" (Bouquet, 1997, p. 188).

يقر"سيمون بوكيه" أنّ كتاب "دروس في اللسانيات العامة" قد شوه الفكر السوسوري من خلال الطرق المسدودة التي قاد إليها النظرية السوسورية"(Bouquet, 1997, p. 2). وما أغفله من محطات هامة تطورت خلال القرن العشرين كالنظرية التركيبية والعلوم المعرفية، من هذا الباب نجده يقر أنَ كتاب " كتابات في اللسانيات العامة " *Ecrits de linguistique générale* جاء ليطرح أفكاراً ثورية لم نعرفها عن "سوسير"، وهو ما ذهب إليه "أنتوان كوليولي" فهو يقول إنَ "ما جاء في هذا الكتاب جعله يعيد النظر في الأفكار التي نشأ عليها وما ذهب إليه قبلا إذ يعد تحولا مشهودا" (Bouquet, 1997, p. 2).

ينقسم مقالنا إلى عدة أقسام تتعدد بتعدد المفاهيم التي نود تناولها ويختص أول قسم بالثنائيات، إذ يرى دو سوسور أنه "يمكن الإحاطة بالظاهرة اللغوية من خلال خمس ثنائيات أو ست" (De Saussure, 2002, p. 298) عوض الثنائيات الأربع المشهورة التي نجدها في دروس في اللسانيات العامة والمتمثلة في (لسان، كلام)، (الدراسة الآنية، الدراسة التاريخية)، و(دال، مدلول)، (محور استبدالي، محور تركيبي) فهو يرى أن المبدأ الثنائي القائم على التقابل الوظيفي التكاملي أساس وجود اللغة.

وسنعرض فيما يلي الثنائيات الواردة في "كتابات في اللسانيات العامة "وذلك بغرض بيان المنطق الجبري الرياضي الذي استند إليه دو سوسير في ثنائياته، إذ اعتمد على الإحداثية والمتغير من الشكل(x, y) في كل ثنائية.

- تعبر الثنائية الأولى عن "الجانبين النفسيين للدليل اللغوي فالدليل اللغوي جمع

بـين مسـارين داخليـين مترابطـين" (De Saussure, 2002, p. 299). لم يحـدد دو سوسـير قطبـي الثنائيـة في مرحلـة أولى وقـد حددهـما لاحقـاً مـن خـلال النظـر في الـدور الـذي تلعبـه مـادة اللغـة في تحديـد شـكلها.

- الثنائيـة الثانيـة (كيـان، كتلة) وهي مقابلة بين "اللغـة ككيان وظاهرة اجتماعية من جهة، ومجمـوع الناطقـين بهـا ككتلـة مـن جهـة أخـرى"(De Saussure, 2002, p. 299) لم يسـتطرد دو سوسـور في شرح هـذه الفكـرة وتجاوزهـا إلى الثنائيـة الموالية ليعـود إليهـا لاحقـا، لكـن هـذا لم يحـل دون الكشـف عـن كـون العلاقـة بـين قطبـي الثنائيـة قائمـة عـلى مفهـوم ريـاضي هـو الاسـتلزام.

- الثنائيـة الثالثـة (لسـان، كلام) الـشيء الجديـد هـو المكانـة التـي يحتلهـا الـكلام مقابـل اللسـان، إضافـة إلى الإسـقاط المفهومـي الاقتصـادي للكامـن (passif) والمتحـرك (actif) عـلى قطبـي الثنائيـة حيـث يمثـل الأول اللسـان كظاهـرة مرتبطـة بمجمـوع الناطقـين بهـا، أمـا الثـاني فيمثـل الـكلام مـن حيـث كونـه نتيجـة إرادة المتكلمـين.

-الثنائيـة الرابعـة (اللسـانيات الآنيـة، اللسـانيات التاريخيـة) وهـي تمامًـا كـما جـاءت في الـدروس.

وقـد ورد في الكتابـات أن الدراسـة الآنيـة هـي العلـم الـذي يتنـاول الظاهـرة بالفحـص والدراسـة، أمـا الدراسـة التاريخيـة فهـي بمثابـة نظـرة في تطـور الظاهـرة بالنظـر إلى العوامـل المتدخلـة فيهـا، وقـد لخصهـا في العمليـة التاليـة:

"La masse parlante × Temps (De Saussure, 2002, p.334)

- الثنائيـة الخامسـة (العلاقـات التركيبيـة، العلاقـات الاسـتبدالية) اعتمـد في شرحـه لهـذه الثنائيـة عـلى مفهـوم ريـاضي هـو المَـعلم، وقـد أضـاف عامـل الزمـن في المحـور الأفقـي، أي محـور المتعاقبـات وصـاغ دور الزمـن في هـذا المحور كـما يـلي: "chose × temps"(De Saussure, 2002, p. 333)، وهـو مـا سـنجده في مبـدأ الخطيـة لاحقـاً.

تقودنـا المقارنـة البسـيطة بـين الكتابـات والـدروس إلى أنَ الثنائيـة الأولى تحولـت إلى الثنائيـة (دال، مدلـول) في الـدروس، أمّـا الثنائيـة الثانيـة فانصهـرت في الثالثـة، وذلـك

للتداخل الكائن بينهما وهو ما لمحناه من خلال شرحه للثنائية الثالثة.

ويتعلق القسم الثاني من مقالنا بطرح جديد يتمثل في اقتراح دو سوسور نوعين من الدراسة هما "لسانيات اللغة" و"لسانيات الكلام". إنّ الهدف الأساسي للسانيات حسب الدروس هو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، فمن المعروف أن الدروس جعل هدف الدرس اللساني ذلك النظام المتكامل والمتجانس، لكننا نجد دو سوسير في الكتابات يتساءل عن "إمكانية جعل موضوع اللسانيات خاضعًا للملاحظة تمامًا كالفيزياء والكيمياء" (De Saussure, 2002, p. 19). وهو يشبه اللسانيات التي يطمح إليها - من حيث طريقة التعامل من الظواهر اللغوية- بالكيمياء والفيزياء وعلم الفلك، ذلك أننا نتعامل مع الوحدات اللغوية بالنظر إلى طبيعتها أولاً وطريقة تفاعلها فيما بينها ثانيًا، وقد حدد موضوع اللسانيات بعزل اللسان عمّا يكوّن مادته الفيزيائية والفيزيولوجية، وما يمثله من أفكار وضرب مثالا بكلمة: (mer).

فإذا تعلق الأمر بالكتلة الصوتية m+e+r من حيث فيزيائيتها وكيفية نطقها فهذا لا يعني اللسانيات، بل "لا تعد ظاهرة لغوية قابلة للدراسة إلاّ إذا اتصلت بفكرة "(De Saussure, 2002, p. 20)، وهو ما يتفق إلى حد بعيد مع ما جاء في الدروس.

إنّ المقابلة بين "لسانيات اللغة" و"لسانيات الكلام" مستمدة من مقابلة أخرى (لسان، كلام) والجديد في الكتابات هو إلغاء فكرة إقصاء الكلام من دائرة الدرس اللساني، فهو من اختصاص لسانيات الكلام إضافة إلى أنّه الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من ملاحظة الظواهر اللغوية، وهو ما توصل إليه تشومسكي في مفهوم التأدية ليكسر التجريد الذي طغى على تصوره للملكة اللسانية.

يعد هذان النوعان من الدراسة متقابلين منهجياً وتقابلهما مستمد من التقابل الأصلي بين اللسان والكلام بحكم كون اللسان القوة الكامنة (passive) والكلام القوة المتحركة(active) بالمعنى الاقتصادي للمصطلحين وهو من هذا الباب يعد المسؤول عماّ ينتج من تحولات في اللغة لكن "هذا لا ينفي كون

لسانيات الكلام أقل تبلوراً من لسانيات اللغة" (De Saussure, 2002, p. 28). إنّ ما يميز هذه الرؤية الجديدة هو كون دو سوسير، وإن لم يجعل الكلام هدفاً للدراسة اللسانية من حيث فرديته، إلاّ أنه جعل منه السبيل إلى إجلاء الظواهر اللغوية من خلال الممارسة الاجتماعية وهو ما نجده جلياً لدى "تشومسكي" لاحقا عند حديثه عن ثنائية (الملكة – التأدية).

يرتبط القسم الثالث بالبعد الجبري لفكرة الدليل اللغوي لدى دو سوسور وكيفية تطورها من خلال الكتابات وارتباطها بمسارات الإدراك والعلوم المعرفية. يتحدث دو سوسور في الصفحة ٢٠ من الكتابات عن التقابل بين الصوت والفكرة (son / idée) ومنه الظاهرة الصوتية مقابل الظاهرة الذهنية، وهو يرى أنّ هذا التقابل يقودنا إلى فرق جوهري بين الجانبين المادي الصوتي والفيزيولوجي الذهني، أي تدخل المسارات الفيزيولوجية في تشكل الفكرة أو ما يسمى التصور الذهني وهو ما يختلف عن طرح الدروس فالجانب الفيزيولوجي غير مهم تمامًا كالفيزيائي فهو يمثل مادة اللغة في حين تهتم اللسانيات بشكل اللغة.

وقد لفت انتباهنا أنّه في طرحه عرض مجموعة من التقابلات والتمثيلات الجبرية مثلا (الدليل، معناه)، (شكل، معنى) ويعادل الشكل الصورة الصوتية (forme vocale) وقد مثلها جبرياً بالكسر:

$$\frac{\text{المعنى}}{\text{الشكل}}$$

ثم عرض وجهة نظر جديدة هي:

$$\frac{\text{المعنى المنسوب إلى الشكل}}{\text{شكل منسوب إلى المعنى}} \Longleftarrow \frac{\text{الاختلافات العامة بين المعاني}}{\text{الاختلافات العامة بين الأشكال}}$$

وهو ما يستلزم أن اختلاف المعنى مرتبط بالشكل وتحوله عبر الزمن، وكذا

بالنسبة للمعنى، "وأن الوحدات معزولة عمّا تمثله من قيم خلافية تعد وحدات سلبية" (De Saussure, 2002, p. 273). والسلبية هنا تعني عدم وظيفية الوحدة. يذهب دو سوسور إلى أنّ تشكل الدليل يتم عندما تتحد الفكرة بالصورة الصوتية ضمن مسارات إدراكية معقدة، وهو ما يحيلنا إلى دور الإدراك في التشكل النفسي للدليل لدى المتكلم وهو مفهوم محوري في العلوم المعرفية وكذا اللسانيات النفسية والعصبية. الجديد في الكتابات هو أنّ الدليل ليس شكلاً ومادةً فحسب، فهو كيان روحي "يستمد وجوده من ماديته، أي من فعل إنتاجه تماماً كما نجده في "الثنائية الديكارتية الشهيرة(جسم/روح)" (De Saussure, 2002, p.273). فلا يمكن الفصل بين الجسم والروح دون إلغاء وجودهما. وقد استعمل في غمار حديثه عن الدليل التحدد الايجابي (+) والسلبي(-) لوحدة ما فيما يتعلق بالقيم الخلافية (différentialité)، أو ما يسمي بالتقابل فهو بالنسبة إليه "أهم شيء تقوم عليه الظواهر اللغوية"(De Saussure, 2002, p. 83). إذ يعد هذا المبدأ أساسياً للتحليل اللساني للظواهر اللغوية فهو وحده من يحدد الجدير بالدراسة منها، فعلى اللساني إهمال الظواهر التي لا تحدد خلافياً معتمداً على مبدأ التحدد الإيجابي أو السلبي بالنسبة إلى قيمة ما.

يتناول القسم الرابع مبدأ الجبرية (le principe d'algébricité) إذ يرى دو سوسير أنَ "اللغة متتالية جبرية من الأدلة" (De Saussure, 2002, p. 34). وهو يرى أن "اللساني يجب أن يهتم بالتراكيب اللغوية بالنظر إلى العلاقات الرابطة بين وحداتها باعتبارها تتالياً جبرياً"" (De Saussure, 2002, p. 236). ويقتضي مبدأ الجبرية لديه المناداة بأهمية مادية اللغة التي تتجلى من خلال حسيتها المتجسدة في الاستعمال الاجتماعي لها، ونجده في الصفحة 206 من الكتابات يعبّر عن الفكرة نفسها معتبراً أنّه بإمكاننا التعبير عن البنى اللغوية بصيغ رياضية، ويذهب إلى أن التنوع المتتالي في إمكانيات التركيب المتاحة في اللغة لا يمكن التعبير عنه إلّا من خلال المنطق الجبري، فاللغة

تتكون في أدمغة المتكلمين وفق منطق خاص يمكن أن يختزل في صيغ رياضية "(De Saussure, 2002, p. 206). فقد اختزل العلاقة بين جزئي الدليل المادي والروحي بالكسر:

$$\frac{\text{sens}}{\text{forme vocale}} \Longleftarrow \frac{\text{المعنى}}{\text{الشكل}}$$

مستعينا بالعلاقة الرياضية الرابطة بين البسط والمقام وهي علاقة تلازمية فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر تماما كوجهي الدليل اللغوي، إضافة إلى النسبية التي تجمعهما فهما نسبة بالمفهوم الرياضي للكلمة والرابط بينهما صلة الجزء بالكل، فقد يكون البسط جزءًا من المقام إذ يمكن أن تمثّل الصورة الصوتية (المقام) معان متعددة كما نجده في حال المشترك اللفظي في اللغة العربية على سبيل المثال.

إنّ الثنائيات نفسها عبارة عن ثنائيات رياضية ديكارتية من الشكل(y, x) تربط بين قطبيها علاقة خاصة، إذ تعد الإحداثية y صورة للإحداثية x مثلما هو الحال في الثنائية (لسان، كلام). ويستعمل دو سوسير المعادلات إضافةً إلى التمثيلين الثنائي والنسبي، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

"Forme= éléments d'une alternance

Alternance= coexistence" (De Saussure, 2002, p. 36)"

ليشرح العلاقة الرابطة بين الوحدات المترابطة زمانياً ومكانيًا في متتالية لغوية ما التي قد تقل أو تزيد عن مستوى الجملة بالاستناد إلى التعاقب والتزامن.

وتستلزم علاقة التعدية الرياضية معادلة جديدة هي:

"Forme= coexistence"

وقد استعمل دي سوسير المعادلة الأولى للتعريف بمفهوم الشكل فيما يخص المستوى الإفرادي حيث تحدد الوحدات شكلياً بكونها جزءاً من متتالية تعاقبية، وأنّ التعاقب يساوي التواجد مع أخذ عامل الزمن بعين الاعتبار. وقد أتاحت علاقة التعدية معادلة

جديدة تفيد أن شكل المفردة يتحدد عبر إمكانية تركيبها وهو ما يساوي التزامن في المحور التركيبي.

يزخر الكتاب بهذه التمثيلات الرياضية خاصةً ما يتعلق بالمفاهيم الأساسية كاستعمال المحور للتعبير عن العلاقات الاستبدالية والتركيبية:

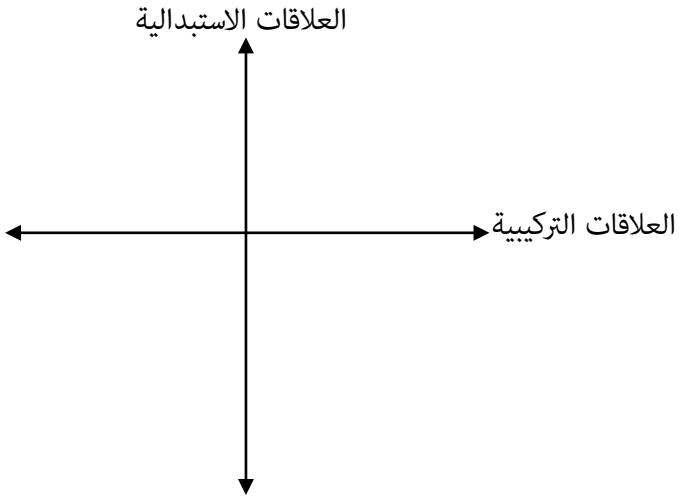

ما لفت انتباهي في هذا الشق هو أنّ دو سوسور استعمل الضرب (×) في المحور الاستبدالي العمودي كما يلي: (chose × temps)

وقد استعمل عامل الزمن بالمعادلة نفسها للتعبير عن البعد التطوري للغة :

(La masse parlante ×temps) (De Saussure, 2002, p. 333).

وعملية الضرب (×) هنا تمثل التحول الذي تشهده اللغة، ففي الحالة الأولى (chose × temps) يمكن أن نقابل (chose) بأية وحدة من وحدات التحليل اللساني.

يختص القسم الخامس بمفهوم الخطاب والعلاقة الجبرية بينه وبين اللغة في الكتابات ذلك أنّ دو سوسير يطرح تساؤلات عميقة عن الخطاب واللغة والحد الفاصل بينهما وعلاقة ذلك بالاستعمال، كما نجده يتساءل عماً يمكن أن يجعلنا نقول إن اللغة تتحول إلى حدث من خلال الخطاب بالنظر إلى التعريف الأولي للغة كنظام متجانس من الأدلة. وقد أشار إلى أن الوحدات المكونة للغة كالكلمات يجب

"أن تتحد وتتفاعل بطريقة ما لتشكل الخطاب لتعكس فكر الناطقين بها" (De Saussure, 2002, p. 275). وعليه، فإنّ الرابط بين اللغة والخطاب هو التعبير عن الفكر، وقد أقر دو سوسير في بداية حديثه عن الخطاب أن التجسيد الفعلي للغة لا يكون إلاّ من خلال الخطاب وهو بهذا يساوي بينه وبين الكلام. وهو ما يدخل العلاقة لغة - الخطاب في البعد التواصلي كما جاء عن "بنفنست".

يرى دو سوسور أن التخاطب مجال كل التحولات الصوتية أو التركيبية فالحاجة إلى التواصل تدفع المتكلم إلى "استثمار المعارف المخزنة في دماغه لتشكيل قوالب جديدة تعبر عن أفكاره" (De Saussure, 2002, p.95). وهنا نلمس مفهوما جديدًا يرتبط بالاستعمال وهو الإبداع الذي يعد نتيجةً للارتجال في وضعية تخاطبية معينة، ممّا يستلزم تدخل مكونات خارجة عن ذات اللغة مستمدة من ملابسات الخطاب إضافةً إلى تدخل العوامل الفيزيولوجية وما يحدث في دماغ المتكلم-المستمع من مسارات إدراكية معرفية تعمل على تشكيل الخطاب وإحداث التواصل وحتى الإبداع

خاتمة

خلاصةً يمكننا القول إنَ مبدأ جبرية اللغة يثبت وجود منطق تنتظم وتتطور وفقه اللغة، رغم اعتباطية الدليل اللغوي، وأن صياغة بعض جوانبها في قوالب رياضية دليل على طبيعتها الجبرية التي تسهل على الباحث التوصل إلى الكليات التي تجمع الألسن على اختلافها وهو ما تهدف إليه اللسانيات.

إن النظرية الجبرية لدو سوسور تعبر عن توقه لجعل اللسانيات علمًا صورياً يتحرى الدقة العلمية الكفيلة بتحقيق أهدافه، فلا يمكن اعتبار انتظام الوحدات اللغوية ضمن البنى اعتباطياً خالياً من منطق ما، ويعد التجريد الجبري أنجع الطرق لفهم هذا المنطق. ويمكننا القول إنَ كتاب "كتابات في اللسانيات العامة" قدم لنا دو سوسور كما أراد هو وليس كما فهمه غيره وأظهر أنَه كان سباقاً لطرح مفاهيم طورت بعده كالإبداعية والتداولية ومفهوم الجبرية الذي يعد أساس اللسانيات الصورية.

المراجع

- De Saussure, Ferdinand. 2002. Ecrits de linguistique générale. Editions Gallimard. Paris.
- De Saussure, Ferdinand. 1999. Cours de linguistique générale. Editions Tallantikit. Alger.
- Bouquet, Simon. 2008. Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux. fd. vol x||. Paris.
- Bouquet, Simon. 1997. Introduction à la lecture de Saussure. Bibliothèque
- Histoire épistémologie langage. Tom 19 fasicule scientifique Payot. In: paris.